الانزياح وتعدّد المصطلح في النقد العربي

Shift and plurality of the term in Arabic criticism

د. يوسف نقماري [1]*،

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي (الجزائر)، negmariyoucef@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023-04-22 تاريخ القبول: 2023-05-04 تاريخ النشر:2023-06-08

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى أن تلقي الضوء على مصطلح الانزياح الذي يعدّ من أهم الظواهر التي تقوم عليها الدراسات الأسلوبية الحديثة، وذلك من خلال تقديم مفهوم لغوي واصطلاحي للمصطلح، ورصد أهم المصطلحات التي تحمل مفهوما مشابها للانزياح، كالانحراف والعدول، بالإضافة إلى رصد المصطلحات الأخرى القريبة منه التي استعملها النقاد والدارسون العرب وذلك من خلال الترجمة، وإيجاد مقابل للانزياح في الدراسات القديمة والحديثة ومحاولة تأصيله، وفي خاتمة الدراسة ذكرنا أهم المصطلحات التي تتعلق بمصطلح الانزياح، بالإضافة إلى الدعوة إلى توحيد المصطلحات بين الدراسين والباحثين العرب.

كلمات مفتاحية: الانزياح، الانحراف، العدول، النقد، المصطلح.

Abstract:

This study aims to shed light on shift's term, which is one of the most important phenomena on which modern stylistic studies are based by presenting a linguistic and idiomatic concept of the term, and determining the most important terms that carry a concept similar to shift, such as deviation and reversal. In addition, it determines other terms close to it which were used by Arab critics and scholars through translation, finding a counterpart to the shift in ancient and modern studies and trying to root it. In the conclusion of the study, we mentioned the most important terms

* **المؤلف المرسل: د. يوسف نقماري**

related to the shift, in addition to calling for terms' unification between Arab scholars and researchers.

Keywords: Shift, deviation, reversal, critics, term.

1. مقدمة:

لقد ظهرت في ميدان الأسلوبية مصطلحات جديدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمفهوم الأسلوب، وآليات تحليله مثل مصطلح الانزياح أو العدول ومصطلح الاختيار أو الاستبدال، ومصطلح التركيب، وثمة مصطلحات أخرى كثيرة.

حيث ورد مصطلح الانزياح كثيرا في الدراسات القديمة والحديثة، واتخذ أكثر من تسمية منها الانحراف، والعدول، والتغيير، والخروج...، فالانزياح يعدّ مؤشرا على أدبية النص وشهرته لأنّ الخروج عن النسيج اللغوي العادي في أي مستوى من مستوياته (الصوتي، التركيبي، الأسلوبي، البلاغي)، يمثل بحد ذاته حدثا أسلوبيا. فإشكالية المصطلحات المتعددة للانزياح ناتج عن الاختلاف في مفهوم المصطلح نفسه، فالهدف من هذه الدراسة الإجابة عن الإشكاليات التالية: ما مفهوم الانزياح؟ وما مفهوم العدول؟ وما مفهوم الانحراف؟ وما هي أهم المصطلحات التي استعملها النقاد العرب كمقابل لمصطلح الانزياح؟

2. مفهوم الانزياح:

1.2 الانزياح لغة:

ورد في معجم في مقاييس اللغة" :الزاء والياء والحاء أصلٌ واحد، وهو زوال الشيء وتنحّيه، يقال: زاح الشيء يزيح، إذا ذهب، وقد أزحت علته فزاحت، وهي تزيح".[1]

وفي لسان العرب لابن منظور: "زاح الشيء، يزيحُ زيحا و زيوحا وزَيَحَانا، وانزاح: ذهب وبعد وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره".[2]

وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة :"انزاحَ انزياحًا، فهو مُنزاح، والمفعول مُنزاحٌ عنه، وانزاح الشَّيءُ: زاح؛ ذهب وتباعد، وانزاحَ عن مقعده: تنحَّى عنه وتباعد.[3]

مما سبق نستنتج أنّ الانزياح لغة يعني الذَّهاب والتباعد والتنحي، وفي كل هذا تغييرٌ لحالة معينة وعدم الالتزام بها، وإن كانت الدلالة اللُّغوية الأولى مرتبطةً بالمكان، فإن الأمر يتوسَّع لغيره، فيقال: زاح عنِّي المرض أو الباطل: زال عنِّي.

2.2 الانزياح اصطلاحًا:

فكلمة انزياح التي أخذت من الفعل انزاح، بمفهوم غير المتوقع، فتعد من المقترحات الجديدة التي استعملت في الدراسات الحديثة. ومفهوم المصطلح متداول في عدة معارف: علم الدلالة، البلاغة، علم المعاني، علم النحو، وإذا كان المفهوم مكرسا قبلا، فذاك يعني أن مصطلح الانزياح ليس مستحدثا، وما ليس مستحدثا قد تواتر بشكل أو آخر في حلقات معرفية سابقة.[4]

ويعرّف الباحث نعيم اليافي الانزياح بأنه: "خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال رؤية ولغة وصياغة وتركيبا".[5]

ويرى الباحث مولاي علي بوخاتم أنّ الانزياح: " انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، يمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته".[6]

ويرى الباحث حسن ناظم أنّ الانزياح: " يتخذ أنماطا مختلفة من ناحية تنوّعاته أو تحققاته العينية في النصوص الأدبية، كما أنّ وجهة نظر الدراسة التي تطبق مقولة الانزياح يمكن أن تتنوع كذلك، ما دام جوهر عملية تطبيق مقولة الانزياح إنما هو إجراء مقارنة، فالتطبيق تطبيق مقارن، يضع النص الأدبي ويتأمله لا كشيء في ذاته وإنما كشيء مرتبط بطريقة معينة بآخر حاضر في الذهن، سواء أكان هذا الآخر متجسدا كنص آخر أم كنمط حقبة معينة سابقة على حقبة النص".[7]

تكاد تجمع التعاريف السابقة على أنّ الانزياح هو خروج عن المألوف، أو ما يقتضيه الظاهر، وأنّ هذا المصطلح متداول منذ القدم حيث تطرق إليه ابن جني في الخصائص، وكذلك ابن رشيق في العمدة، في ظل المعنى المفهومي للعدول والاتساع والتوسع، ولم يقتصر الانزياح على حقل دون آخر.

3. مصطلح الانزياح وتعدد المصطلح:

يرى عبد السلام المسدي أنّ مصطلح (**L'écart**) عسير الترجمة لأنّه غير مستقرّ في متصوّره لذلك لم يرض به كثير من روّاد اللسانيات والأسلوبية، فوضعوا مصطلحات بديلة عنه، وقد رغب عبد السلام المسدي في مجال الأسلوبية التأصيل لأسلوبية عربية حديثة وِفق المنجَز من الدرس الأسلوبي الغربي الحديث وذلك عن طريق عقد أواصر القربى بين الدرس الغربي الأسلوبي والدرس العربي، ومن أهم المصطلحات التي لها علاقة بمصطلح الانزياح ما يلي: [8]

المصطلح	المقابل بالعربية	صاحب المصطلح
L'écart	الانزياح	Valéry
L'abus	التجاوز	
La déviation	الانحراف	Spitzer
La distorsion	الاختلال	Wellek et Warren
La subversion	الإطاحة	Peytard
L'infraction	المخالفة	Thiry
Le scandale	الشناعة	Barthes
Le viol	الانتهاك	Cohen
La violation des normes	خرق السنن	Todorov
L'incorrection	اللحن	

La transgression	العصيان	Aragon
L’altération	التحريف	Le groupe (mu)

ثم أضاف صلاح فضل إلى ذلك كلمة "الكسر" ونسبها إلى من نسب المسدي إليه "المخالفة" وهو تيري، ونسب إلى بارت كلمة أخرى غير كلمة "الشناعة" التي ذكرها المسدي وهي "الفضيحة " وذلك في قوله: " إنّ شعرية اللغة تقتضي خروجها الفاضح على العرف النثري المعتاد"[9]، ونسب إلى تودوروف مصطلح "شذوذ" بينما نسب عبد السلام المسدي إليه "اللحن" و"خرق السنن".

ونجد في عرض عدنان بن ذريل لكتاب "المدخل إلى التحليل الألسني للشعر" عدة مصطلحات أيضا، ومنها: الجسارة اللغوية، والغرابة، والابتكار، والخلق.[10]

ويرى المسدي أنّ " عبارة (انزياح) ترجمة حرفية للفظة – (**Ecart**) – على أنّ المفهوم ذاته قد يمكن أنْ نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نُحِيي له لفظة عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدَّد وهي عبارة (العدول): وعن طريقة التوليد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية "[11].

ولما سُئِل المسدي عن استعمال مصطلح الانزياح ترجمة لمفهوم (**Ecart**) أول مرّة أجاب بأنّه: " كان يَقصِد إلى إبراز سمة الجدّة من حيث هو متصوَّر إجرائي طارئ على سنن التأليف في اللغة العربية، ثم جاء مصطلح (العدول) إحياء لمصطلح بلاغي تراثيّ لم يعد يجرّ محاذير الالتباس"[12].

ومن الناحية العملية يَعتبر الأسلوبيون أنّه كلّما تصرَّف مستعمل اللغة في هياكل دلالاتها وأشكال تراكيبها بما يَخرُج عن المألوف انتقل كلامه من السِّمة الإخبارية إلى السّمة الإنشائية، فأنْ تقول: "(كذّبتُ القوم وقَتَلْت الجماعة) فإنك لا تعمِد إلى أي خاصية أسلوبية، أما قوله تعالى: ♥ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ♦ [سورة البقرة، الآية 87]**، فيحوي انزياحا أو عدولا عن النمط التركيبي الأصليّ بتقديم المفعول به أوّلا، واختزال الضمير العائد عليه ثانيا (فريقا كذّبتموه...). فهذا

انزياح متّصل بالتوزيع أي بالعلاقات الرّكنية، معنى ذلك أنّ الأدوات اللغوية نفسها المستعملة يمكن إعادة رصفها بما يزيد الانزياح وبالتالي السمة الأسلوبية.[13]

أما فيما يخصّ جدول الاختيار أي العلاقات الاستبدالية فكقول الشاعر: (والعين تَخْتَلِسُ السماع...) فالمألوف أنْ تسترق حاسّة البصر النظر، وفي العدول عن عبارة النظر واختيار عبارة السّماع سمة أسلوبية (فضلا عن السمة المتأتية من إسناد فعل الاختلاس إلى جارحة العين وهو عند البلاغيين مجاز عقلي، وفي التحليل الأسلوبي تأليف بين جدولي اختيار متنافرين ابتداءً ائتلفا في سياق توزيعي ركنّي فاتسم الخطاب بالسّمة الأسلوبية)[14].

وقد أَكسَب مفهوم الانزياح الأسلوبية " ثراء في التحليل إذ تتعامل المقاييس الاختيارية والتوزيعية على مبدئه فتتكاثف السِّمات الأسلوبية، وفي ضوئه يمكن إعادة وصف كثير من التحليلات البلاغية العربية، فمن ذلك باب تضمين الحروف، أي استعمال بعضها مكان بعض: " اِعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عزّ اسمه: ♥ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ♦ **[سورة البقرة، الآية:187]**، وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنّه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تُعدّي أفضيتُ بـ (إلى) كقولك أفضيتُ إلى المرأة، جِئت بـ (إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه"[15].

فهذا الاتساع الذي يتحدّث عنه ابن جني ليس سوى انزياح، فالطبيعي أن تقول أحد الأمرين:[16]

أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث بِنسائكم.

أحِلّ لكم ليلة الصيام الإفضاء إلى نسائكم.

فإن عمدت إلى أنْ تقرِن الرفث بحرف هو من توابع الإفضاء تكون قد أسقطت جدولين من الاختيار غير متآلفين ابتداء وأفرغتهما في جدول توزيعي واحد ممّا أحدث السمة الأسلوبية.

وقد صنّف الغربيون الانزياحات في خمسة نماذج استنادا إلى معايير تحدِّد الانزياح نفسه:[17]

أ- تصنيف الانزياحات استنادا إلى درجة انتشارها في النص بوصفها انزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة التي تُعَدّ انزياحا موضعيا عن النظام اللساني، أو بوصفها انزياحات تشمل النص الأدبي في عمومه كالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقا لعمليات إحصائية.

ب- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى نظام القواعد اللسانية، فتبرز لنا انزياحات سلبية كتخصيص القاعدة العامة، و انزياحات إيجابية كإضافة قيود معيّنة مثل القافية.

ت- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المحلَّل، فتبرز لنا انزياحات داخلية تتمثل في انفصال وحدة لسانية عن القاعدة المهيمنة على النص، و انزياحات خارجية تتمثل في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة التي كُتب النص بِلُغتها.

ث- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى المستوى اللساني الذي تستند إليه تلك الانزياحات فتبرز لنا انزياحات خطية، وصوتية، وصرفية، ومعجمية، ونحوية، ودلالية.

ج- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى مبدأي الاختيار والتأليف طبقا لفرضية (جاكبسون) في إسقاط مبدأ التماثُل من محور الاختيار على محور التأليف. فتبرز لنا انزياحات استبدالية تُحطِّم قواعد الاختيار كوضع المفرد مكان الجمع، والصفة مكان الموصوف، واللفظ الغريب بدلا من المألوف.

وبالنتيجة، فإنه يمكن إجمال المشاكل التي يثيرها النظر إلى الأسلوب بوصفه انزياحا كما يأتي:[18]

- ❖ كيفية النظر إلى نصوص ليس فيها انزياح عن قاعدة معينة.
- ❖ كيفية تحديد القاعدة والانزياح عنها بدقة علمية.
- ❖ كيفية تتبُّع الخواص النوعية للانزياح بتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما هو تحديد سالب.
- ❖ كيفية النظر إلى انزياحات لا يترتَّب عليها تأثير أسلوبي.

- ❖ كيفية تجاوُز المؤلف والقارئ، فتحديد الأسلوب بوصفه انزياحا إنما ينظر إلى الظاهرة اللسانية فحسب في النص الأدبي
- ❖ كيفية تطبيق نظرية الانزياح على مؤلِّفين يكتبون بأسلوب اعتيادي.
- ❖ كيفية تسويغ إهمال ملامح النص الأخرى وبناه الأساسية التي لا تستند إلى فكرة الانزياح.

4. مصطلح الانحراف وتعدد المصطلح:

أمّا (الانحراف) فهو "الترجمة التي يبدو أنها شاعت أكثر من غيرها للمصطلح (**déviation**) الموجود في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ولكنه في الإنجليزية أكثر دورانا. وترجمته بالانحراف هي، فيما يبدو، أصح ترجمة له".[19]

ويتخذ سبيتزر **Spitzer** من مفهوم الانزياح مقياسا لتحديد الخاصية الأسلوبية عموما ومسبارا لتقدير كثافة عُمقها ودرجة نجاعتها، ثم يتدرّج في منهج استقرائي يصل به إلى المطابقة بين جُملة المعايير وما يسميه بالعبقرية الخلاّقة لدى الأديب[20]، ويرى سبيتزر أنّ الأسلوبية تحلل استخدام العناصر التي تمدنا بها اللغة وإنّ ما يُمكِّن من كشف ذلك الاستخدام هو الانحراف الأسلوبي الفردي وما ينتج من انزياح عن الاستعمال العادي[21].

ويربط والاك وواربن **Wellek et Warren** مفهوم الأسلوب بمجموع المفارقات التي نلاحظها بين نظام التركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجماليّ[22].

فمبدأ الاعتماد على العدول – أو الانحراف كما وقع تداوله رغم محاذير الشحن الأخلاقي التي تأتي على هذا المصطلح– يتطلب من الناحية الإجرائية ضوابط قياسية تكون بمثابة المسبار الذي به يحدَّد النسق المرجعي وعلى أساسه تقاس المسافة التي يُجريها صاحب النص منزاحا عن الدرجة الوسط[23].

ويرِد لدى حازم القرطاجنّي ذكر للفظ (الانحراف) في قوله: " فأما ما يجب في طريقة الجدِّ (في الشعر) فألا ينحرف في ما كان من الكلام على الجدِّ إلى طريقة الهزل كبير انحراف، أو لا

ينحرف إلى ذلك بالجملة؛ لأنّ الكلام المبني على الجدِّ إنّما قصد به إلقاؤه بمحلِّ القبول من أهل الجِدِّ. وكثير من أهل الجدِّ يكره طرق الهزل... فلذلك يجب ألاّ يتعرض إليها كبير تعرّض".[24] وما يلاحظ هو تسمية الخروج عن الجِدِّ إلى الهزل (انحرافا).

ويرى المسدي: " أنّ القدماء كانوا يعتبرون أنّ كلّ تغيير يطرأ على قواعد اللغة إنّما هو انتهاك لأبدية قوانينها، فهو بالتالي تجنٍّ على اللغة وتسلُّط على أهلها فيكون شأنه بمنزلة البدعة، وفي كل بدعة عدول وانحراف. وما إنْ يظهر الشذوذ حتّى تنبريَ المجموعة لمقاومته"[25].

يلحظ شكري عياد تسلطا على الإمكانيات التي تتيحها اللغة مما يدفعها بعيدا عن مسارها الطبيعي، وهذا ما يعرف بالانحراف، فالاختيار محدود الإمكانيات المتعارفة للغة في حين أنّ الانحراف يبتعد عن طرق التعبير الشائعة. والاختيار موجود في اللغة الجارية أو لغة الحديث، في حين أن الانحراف يخص اللغة الفنية، وهذا منطقي، يرتبط الاختيار بالقائل أو المبدع وقلما يشعر به المتلقي إلا أنه يرتاح به، فإذا أراد أن يعيد الكلام أو يأتي بمثله لم تسعفه قريحته، ولهذا سمي الكلام الذي غلبت عليه خاصية الاختيار (السهل الممتنع). والانحراف على العكس فقد يصدر عن المبدع بصورة عفوية إذا انطلق في التعبير، ولكن المتلقي يشعر به شعورا قويا في جميع الأحوال.[26]

فالكتابة الفنية تتطلب من الكاتب أن يفاجئ قارئه من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تفتر حماسته لمتابعة القراءة، فالتركيز على الأدب المكتوب دون الأدب الشفوي لا يعني أنّ ظاهرة الانحراف مقصورة على الأول دون الثاني، ولكن يعني أنّ الانحراف في الأدب المكتوب أظهر منه في الأدب الشفهي بوجه عام، لأنّ الانحراف في الأدب المكتوب هو الوسيلة الوحيدة لجذب انتباه القارئ، أمّا في الأدب الشفوي فهو وسيلة واحدة بين وسائل عدة.[27]

يحاول شكري عياد البحث عن معايير علمية لتعيين مواضع الانحراف، فيعرض المعيار الخارجي المتمثل في الحس اللغوي للمتلقي، ويخلص إلى أنّ "الانحراف لا يعني مخالفة القواعد، ولا العدول عن الأفصح إلى الأقل فصاحة، وإنما يدخل ضمن دائرة الجواز، والجواز لا يتعلق بدرجات الفصاحة. إنّ الانحراف يعني العدول عن الأصل، والأصل في النحو يتفق عادة مع المنطق الفطري، والأديب يعدل عن الأصل الذي يقتضيه المنطق الفطري لمؤثر وجداني.[28]

وينبه شكري عياد إلى نقطتين مهمتين:[29]

- لا ينبغي أن نقيس الانحرافات أو غيرها من السمات الأسلوبية بقواعد اللغة قياسا مطلقا شاملا، فالمعيار في كل دراسة أسلوبية هو اللغة الجارية.

- إنّ المعيار الكمي نافع في تعيين الانحراف، فمن الممكن أن نعين الانحراف بناء على تكرار سمة لغوية ما إلى درجة غير عادية، وإن لم تكن مختلفة عن نمط اللغة المعيارية في حال انفرادها.

ويربط الناقد بين الانحراف والعرف الأدبي، فالانحراف الأسلوبي المتكرر عند فريق من الأدباء لا يعد ظاهرة أسلوبية، لأنه قد أصبح عرفا أدبيا لديهم، والقارئ الذي لا عهد له بعرف أدبي معيّن ستبدو له الانحرافات أكثر كثيرا مما هي في الواقع، ويدخل في هذا السياق تكلُّف قواعد جديدة كالوزن والقافية، فهي سمات مميزة للغة الشعر باعتبارها مصطلحا خاصا، ولا تعدّ انحرافات، أمّا المحسنات البديعية- إذا لم يستكثر منها- تعدّ قادرة على مفاجأة القارئ.[30]

ويحاول شكري عياد مناقشة معيار جديد لتعيين الانحراف، وهو ما يعرف بالمعيار الداخلي، ولا يلغي هذا المعيار المعايير السابقة، فالانحراف الداخلي يعتمد العمل المقروء ذاته، وقد استقر (ريفاتير) عند هذه الفكرة بعد أن تبين له أنّ طريقة (القارئ العمدة) لا تكفي لاكتشاف الانحرافات المهمة في النص، ويحدد (ريفاتير) هذا المعيار بالسياق، ويخالف عياد (ريفاتير) في مصطلحه، فيبقى السياق لمعناه العام لا اللغوي، ويقترح مصطلح النسق.[31]

يسمي (ريفاتير) وحدته الأساسية (السياق الأصغر) الذي يكون مع الانحراف مسلكا أسلوبيا، أي أنّ المسلك الأسلوبي عنده هو ثنائية بنوية تعتمد التضاد، وطرفاها السياق والمخالفة، ويمثّل (ريفاتير) هذه الوحدة بالمعادلة التالية:[32]

نسق أصغر + مخالفة = مسلك أسلوبي.

شمس + سوداء= استعارة.

ويمكن أن يدخل السياق الأصغر في سياق أكبر، أي أن التأثير الأسلوبي يتجاوز حدود القطبين (سياق+ مخالفة) ليشغل سلسلة لغوية ممتدة يكون السياق الأصغر جزءا منها تتحدد نهايتها بشعور القارئ، كما تتحدد بدايتها بقدرته على التذكير:[33]

سياق+ مسلك أسلوبي + سياق.

أو: سياق+ مسلك أسلوبي يبتدئ سياقا جديدا + مسلك أسلوبي.

كان السياق الأكبر في كلتا الحالتين يتحدد بالعبارات التي تحيط بالسياق الأصغر، وإن كان من الجائز أن تمتد المخالفة حتى تصبح هي نفسها سياقا.

ويرى شكري عياد أنّ الاستعارات والمجازات وغيرها من أشكال التعبير قد أرجعها المعيار الداخلي إلى أصل واحد لمعرفة الوظيفة التي تؤديها هذه الأشكال داخل نص دال، ويدخل في ذلك إدراك العلاقات فيما بينها، بالإضافة إلى نفي التراكيب التي تعد من حيث الشكل أمثلة للغة فنية، فهو تحليل يغني عن الفروع لكونه أصلا، ولا تعرف قيمة الفروع دونه.[34]

5. مصطلح العدول وتعدد المصطلح:

يعتبر مصطلح (العدول) "من أقوى المصطلحات القديمة تعبيرا عن مفهوم الانزياح إنّ المصطلح وارد في بعض كتب النقد واللغة والبلاغة، فقد ورد العدول عند ابن جنّي، واستعمل الفارابي الفعل (عَدَل)، وعند ابن الأثير غير ما مرَّة، والسكاكي، وعبد القاهر الجرجاني... "[35]، وقد حظي لدى بعض النقاد والدارسين المحدَثين بالاستعمال، أمّا علاقة المصطلح بكُتُب النقد والأسلوبية، فلعلّ عبد السلام المسدي هو أول من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح للمفهوم الأجنبي، وكان ذلك في كتابه (الأسلوب والأسلوبية)، " ... أو نُحيِي له لفظة عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدَّد وهي عبارة (العدول): وعن طريقة التوليد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية "[36].

ويضيف عبد السلام المسدي قائلا: " و لما تطوّرت الأبحاث في هذا المجال كشفا عن الميزة النوعية لأدبية النص برزت الدراسات الأسلوبية متسلِّحة بمفهوم إجرائي جديد هو: مفهوم العدول– أو ما سبق أنْ اصطلحنا عليه بالانزياح– فكان خطوة متطوِّرة نحو ربط شبكة العلاقات بين النص الأدبي والجهاز اللغوي عموما، وقد كان لكل من جاكبسون ، وتودورف، وجورج مونان، ومرسال كوهين، فَضْل في إيضاح موضوع العدول حتّى تدقّق إجرائيا مع ريفاتير [37].

غير أن المسدي يرى أن هناك إشكالات جديدة تولّدت بمفعول الممارسة الإجرائية لعملية تحليل النصوص من منطلَق النقد الحديث أسلوبيا و بنيويا و سيميائيا، ولا يتصل هذا بحقل النقد

العربي فحسب وإنما يعمُّ المجالات المبدئية مهما كانت اللغة التي أُستُخدِمت في التحليل النصّي وبناء على كل هذا تعيَّن اليوم تدقيق بعض الظواهر حتّى ندفع بالبحث النظري نحو وجهتها مؤمِّلين مزيدا من تعمُّقها من طرف النقاد سواء أكانوا من المتوسلين بالمنهج اللغوي أو المعترضين عليه[38].

فمبدأ الاعتماد على" العدول – أو الانحراف كما وقع تداوله رغم محاذير الشحن الأخلاقي التي تأتي على هذا المصطلح– يتطلب من الناحية الإجرائية ضوابط قياسية تكون بمثابة المسبار الذي به يحدَّد النسق المرجعي وعلى أساسه تقاس المسافة التي يُجريها صاحب النص منزاحا عن الدرجة الوسط "[39].

ورغم جهود رولان بارت من الناحية النظرية في اعتبار أنّ هذا السند المرجعي هو (الدرجة الصفر) من استخدام اللغة على حدِّ تعبيره، حيث لا مقصد من الكلام إلا التعبير عن الحاجة الحيوية إلى التوسّل به، فإنّ هذا السُّلَّم قد ضاق به الإنجاز التطبيقي أيما ضيق.

فالقول إذن بأنّ النص ينتمي إلى نظام اللغة بعد تجاوز مرحلة الانتماء إلى صاحب النص، ثم مرحلة الانتماء إلى قارئه، يفتَرِض حصول إجماع بين كلِّ الأطراف الداخلين في إنجاز العملية النقدية حول قضية أساسية هي: ضبط مرجعية النص اللغوية، والذي تشتدّ به القضية إشكالا هو أنّ الأمر قد سار إلى حدِّ الآن وكأنّه مقياس واحد في زمن ما وفي لغة ما بين النسق المعدول به والنسق المعدول عنه واحد في زمن ما، وفي لغة ما هما عادة زمن الناقد ولغته[40].

فتحديد مرجعيّة النمط اللغوي السائد والذي به يُعرَف النسق (المعدول عنه) ثم إليه يُنسَب قياس النسق (المعدول به) يستلزِم بلا أدنى تردّد الاحتكام إلى ثلاثة معايير بحسب التقارب أو التباعد: معيار زمن النص، ومعيار زمن القارئ، ومعيار زمن الناقد إذا هو لم يتطابق مع زمن القارئ[41].

ونجد عبد السلام المسدي في كتابه (النقد والحداثة) يستعمِل إلى جانب العدول (ص:11، 48، 50 مرتين) مصطلحات من مثل:

- الانزياح: (ص:11، 38، 57).
- التجاوز: (ص: 11، 50).

- ❖ الخروج: (ص: 52، 60).
- ❖ الخرق: (ص: 41، 50).
- ❖ التغيير: (ص: 40).
- ❖ الابتعاد: (ص: 41).
- ❖ اللحن: (ص: 41).
- ❖ كسر المألوف: (ص: 41).
- ❖ المفارقة: (41).

أمّا في (قاموس اللسانيات) فيستقرّ على مصطلح العدول ترجمة لـ: (**Ecart**)، أمّا في مقالته (الأسلوبية وقيم التباين)[42] ففيها يستعمل العدول إلاّ مرّة واحدة، حيث استعمل الانزياح.

ونجده في كتابه (في آليات النقد الأدبي) يستعمل المصطلحات الآتية:

- ❖ **العدول:** (ص: 50 ،51، 56، 69).
- ❖ **الانزياح:** (ص: 50).
- ❖ **الانحراف:** (ص: 51).

ولعل هذا الاستعمال والتعدّد في المصطلحات التي تحمل مفهوم (الانزياح) لدى عبد السلام المسدي في كتبه المذكورة سابقا محاولة منه لتأصيل المصطلح في الدرس الأسلوبي العربي.

6. خاتمة:

من خلال ما سبق نستخلص أن هناك عدة مصطلحات تتعلق بمصطلح الانزياح، وقد اختلف النقاد والدارسون في اختيار المصطلح في دراساتهم فنجد مصطلح: الانزياح، العدول، الانحراف، التجاوز، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الشناعة، الانتهاك، خرق السنن، اللحن، العصيان، التحريف، الانكسار، انكسار النمط، التكسير، كسر البناء، الإزاحة، الانزلاق، الاختراق، الخرق،

التناقض، المفارقة، التنافر، مزج الأضداد، الإخلال، الاختلال، الخلل، التغريب، الغرابة، الغريب، الإغراب، الاستطراد، الأصالة، الاختلاف، فجوة التوتر، كسر المألوف، التغيير، فهذا الكم الهائل من المصطلحات التي تقابل مصطلح (**écart**) ينم عن إشكالية ترجمة المصطلح الأجنبي واختلاف الباحثين والدارسين العرب في الاتفاق على إيجاد مصطلح مناسب للمصطلحات الأجنبية، وهذا ما يجعل الباحث يحتار في اختيار المصطلح المناسب في بحوثه ودراساته، فأصبح الاتفاق على توحيد المصطلحات من الأمور الضرورية بين النقاد والدارسين العرب، وذلك بوضع معاجم أو قواميس من خلال الندوات والملتقيات والمؤتمرات.

7. الهوامش:

[1]– أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، ج3، ص: 39.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997، ج3، مادة (زيح)، ص:470.

[3]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، ج2، ص1014.

[4]– ينظر: السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص: 133.

[5]– نعيم اليافي، أطياف الوجه الواحد: دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص:92.

[6]– مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي: الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص:270.

[7]– حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002، ص:43.

[8]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006، ص ص:79،80.

– صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص:82. [9]

[10]– ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص: 32.

[11]– المرجع السابق، ص:124.

[12]– أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص ص:45،46.

[13]– المرجع نفسه، ص ص:124،125.

[14]– ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص ص:125.

[15]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص ص:125،126.

[16]– المرجع نفسه، ص ص:125،126.

[17]– صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص ص:210،211.

[18]– المرجع نفسه، ص ص:215،216.

[19]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص:34.

[20]– ينظر: المرجع نفسه، ص:81.

[21]– ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:180.

[22]– المصدر نفسه، ص:81.

[23]– ينظر: عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د ط)، 1994، ص:51.

[24]– أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، (د ط)، 2002، ص:45.

[25]– عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1986، ص:26.

[26]– ينظر: محمد عياد شكري، اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، أصدقاء الكتاب، القاهرة، مصر، 1988، ط1. التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013.ص:175

[27]– ينظر: المرجع نفسه، ص:178.

[28]– ينظر: نفسه، ص:180.

[29]– ينظر: نفسه، ص ص:182، 183.

[30]– ينظر: محمد عياد شكري، اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ص:184.

[31]– ينظر: المرجع نفسه، ص:187.

[32]– ينظر: نفسه، ص:188.

[33]– ينظر: محمد عياد شكري، اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ص:188.

[34]– ينظر: نفسه، ص:191.

[35]– أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص:45.

[36]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص:124.

[37]– عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، ص:50.

[38]– ينظر: المرجع نفسه، ص ص:50، 51.

[39]– نفسه، ص:51.

[40]– نفسه، ص:51.

[41]– عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، ص:52.

[42]– عبد السلام المسدي، الأسلوبية وقيم التباين، الموقف الأدبي، ع201، 1989، ص ص:28،35.

8. قائمة المراجع:

1– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997، ج3، مادة (زيح)، ص:470.

2- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، ج3.
3- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، ج2.
4- مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي: الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.
5- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان، ط1، 2009.
6- محمد عياد شكري، اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، أصدقاء الكتاب، القاهرة، مصر، 1988، ط1. التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
7- صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
8- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
9- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط5، 2006.
10- عبد السلام المسدي، الأسلوبية وقيم التباين، الموقف الأدبي، ع201، 1989.
11- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1986.
12- عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د ط)، 1994.
13- حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002.
14- أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، (د ط)، 2002.
15- أحمد محمد ويس ، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2005.
16- نعيم اليافي، أطياف الوجه الواحد: دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.